الأعراب، في القرآن الكريم، والسنة النبوية
أدعيتهم وخطبهم في موسم الحج

محسن الأسدي

يثرب التي غيّر رسول الله ﷺ اسمها إلى المدينة المنورة، والطيبة، بلد هجرته وقاعدة دعوته وعاصمة دولته. . ، تحيطها الهضاب والوديان الكثيرة، حتى شكلت بادية مترامية الأطراف، تسكنها أقوام عديدة، قريبة من المدينة أوبعيدة عنها.. وبما أن للبادية خصائصها، وللبداوة أيضاً ـ وهي نمط الحياة في البادية، التي يغلب عليها التنقل والترحال ـ أحكامها، فراحت تلك الأقوام تتأثر حياتها بما تحمله البادية والبداوة من صفات، وأحكام، وأجواء خاصة.

وغدت تشكل وجوداً بشرياً هائلاً، يحسب له ألف حساب، خصوصاً وقد كانت لهم جولات قتالية فيما بينهم، وصولات هجومية على المدينة، وأفعال غادرة بالمسلمين، قبل أن يسلموا أو يسلم أكثرهم، فينتهي ما كانوا يشكلونه من خطر كبير ومؤثر على الساحة المؤمنة، ومع هذا التحول النسبي، بقي ذلك الموروث يلاحق كثيراً منهم حتى بعد إسلامهم، فلم يستطيعوا الانسلاخ منه بالكامل، فكان يظهر عليهم وعلى أدائهم بين الحين والآخر، وليس هذا بالأمر الغريب، فالتغيير على المستوى النفسي والاجتماعي والسلوكي والأخلاقي والمعرفي، ليس بالهين والميسور، وهو يحتاج إلى زمن طويل وثقافة متواصلة وجادة، وضخ منظم لمفاهيم وآداب وقيم الدين الجديد.. وأنا إذ أوجز ما اتصفوا به وما وقع منهم .. لنعرف مدى عظمة الجهد الذي بذله رسول الله صلى الله عليه وآله في انتشالهم مما هم فيه.

إنّ الأعراب وأهل المدينة يشكلون مكوناً فاعلاً مؤثراً في الحياة بكل مفاصلها قبل الإسلام وبعده؛ ويبدو لي أنّ هذا الوجود المشترك الواسع والمؤثر جعل الخطاب القرآني الكريم في بعض آياته، يأتي شاملاً أو متضمناً لهما معاً، وهو يعالج مفردة أو قضية من قضايا الساحة يومذاك:

* ففي النفاق، هذه الحالة المرضية التي انتابت الساحة، تجد القرآن الكريم يخاطبهما معاً:

﴿وَ مِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنافِقُونَ وَ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفاقِ...﴾.[1]

وفي تخلفهم ورغبتهم عن رسول الله صلى الله عليه وآله وهي حالة لا يصح أن تصدر منهم؛ لأنها خلاف بيعتهم للرسول صلى الله عليه وآله وإسلامهم.. تجد الخطاب القرآني يتناول الفريقين معاً:

﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَ مَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللّٰهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ...﴾.[2]

هذا إضافةً إلى ما أفرده القرآن

الكريم للأعراب بالذات ـ كما يأتينا ـ من آيات تتحدث عن صفاتهم وطباعهم، ومواقفهم، كفرهم، نفاقهم، إسلامهم، فإيمانهم، وطرق تعاملهم مع ما يحدث، كل هذا في مشروع تربوي إرشادي تحذيري جاد؛ يبين الطريق الذي عليهم اختياره، وعنده ينسجمون مع الإيمان السليم، ومع الساحة المسلمة وأحداثها، ويستفيدون من الأجواء الإيمانية، ويلتحقون بركب الصالحين والمجاهدين والخالدين.. هذا ما نجده ـ إن شاء الله تعالى ـ في ثنايا هذه المقالة، وفي نهايتها نعيش ثمرةً من ثمرات المنهج القرآني والنبوي عبر موسم الحج، وفريضته المباركة، ومواقع المسجد الحرام، مع بعض بلغاء هؤلاء الأعراب وشيء من أدعيتهم وخطبهم، التي تحكي نتائج تلك التربية القرآنية النبوية ومنافعها.

فهذا المكون الاجتماعي (الأعراب) وقع الكلام عنه في أربع سور قرآنية: (التوبة والأحزاب والفتح والحجرات) فقد وردت كلمة الأعراب في القرآن الكريم عشر مرات:

سورة التوبة: ٩٠، ٩٧، ٩٨، ٩٩، ١٠١، ١٢٠.

سورة الأحزاب: ٢٠. سورة الفتح: ١١، ١٦. سورة الحجرات: ١٤.

وبعض هذه الآيات القرآنية أدرجتها تحت تلك، التي تتحدث عن كفرهم أو نفاقهم، أو عن إسلامهم أو إيمانهم. كما أنّ الآية: ٩٢ من سورة التوبة نزلت في جمع منهم: ﴿وَلاَ عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لاَ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ﴾.

* * *

الأعراب في الروايات:

بعض الكتب الحديثية نسبت روايات لرسول الله ﷺ في الثناء على بعض القبائل، وبالذات للذين كانوا ينصرون النبي ﷺ إذا استنصرهم، وينفرون إذا استنفرهم؛ وذم أخرى، وهذه بعضها:

«أسلم سالمها الله، وغفار غفر الله لها؛ أما إني لم أقلها ولكن قالها الله عزّوجلّ».

«غفار غفر الله لها وأسلم سالمها الله. وعصية عصت الله ورسوله».

«إنّ أسلم وغفار ومزينة وأشجع وجهينة ومن كان من بني كعب مواليّ دون الناس والله ورسوله مولاهم».

«أسلم وغفار وشيء من مزينة وجهينة، أو قال وشيء من جهينة ومزينة خير عندالله. أو قال: يوم القيامة من أسد وتميم وهوازن وغطفان».

«الأنصار وجهينة ومزينة وغفار وأشجع ومن كان من بني عبدالله موالي دون الناس والله ورسوله مولاهم».

«قريش والأنصار وجهينة ومزينة وأسلم وأشجع وغفار موالي ليس لهم مولى دون الله ورسوله».

وجاء الأقرع بن حابس إلى رسول الله ﷺ فقال: إنما بايعك سراق الحجيج من أسلم وغفار ومزينة ـ وأحسب وجهينة ـ فقال رسول الله ﷺ: «أرأيت إن كان أسلم وغفار ومزينة ـ وأحسب وجهينة ـ خيراً من بني تميم وبني عامر وأسد وغطفان أخابوا وخسروا؟ فقال: نعم. قال: والذي نفسي بيده إنهم لأخير منهم. والذي نفس محمد بيده لغفار وأسلم ومزينة ومن كان من جهينة خير عندالله يوم القيامة من أسد وطيء وغطفان».

قريش والأنصار وأسلم وغفار أو غفار وأسلم ومن كان من أشجع وجهينة أو جهينة وأشجع، حلفاء موالي ليس لهم من دون الله ولا رسوله مولى. وجعل لهم النبي ﷺ الهجرة حيثما كانوا.[٣]

* * *

قبائل الأعراب:

قبل أن نعدد قبائل الأعراب، يبدو لي أنّ هناك أعراباً إما هجروا باديتهم وسكنوا المدينة أو القرى، وإما أنهم تولدوا داخلها، ولكن التسمية بقيت تلاحقهم، يمكننا معرفة ذلك من خلال

مـــا نقرأه حـــول أي القبائـــل هم من الأعـــراب، ومن خلال اطلاعنا على ما ذكره المؤرخون والمفسرون من تراجم لشـــخصيات، فقد ذكـــر الواحدي في أســـبابه أنّ الآية: ٩٧ من ســـورة التوبة نزلت في أعاريب من أســـد وغطفان، وأعاريب من أعـــراب حاضري المدينة .. وأما أكثـــر منازلهم فقد كانت خارج المدينة أو حولها.

ومـــن قبائلهـــم: جهينـــة، ومزينة، وأشـــجع، وغفـــار، والديل، وأســـد، وغطفان، وبنو تميم، ولحيان، وعصية، ... أكتفي بأسمائها دون ترجمتها، فلا يســـع المجال لذكرها.

* * *

غدرهم!

عرفت بعض هذه القبائل بصفات بعيدة عن قيم الإنســـانية، والأعراف الاجتماعية، التي ســـادت بـــين قبائل العرب؛ ومنها: حفظ العهود والمواثيق، وإغاثة الملهوف، وحماية المســـتجير، و...

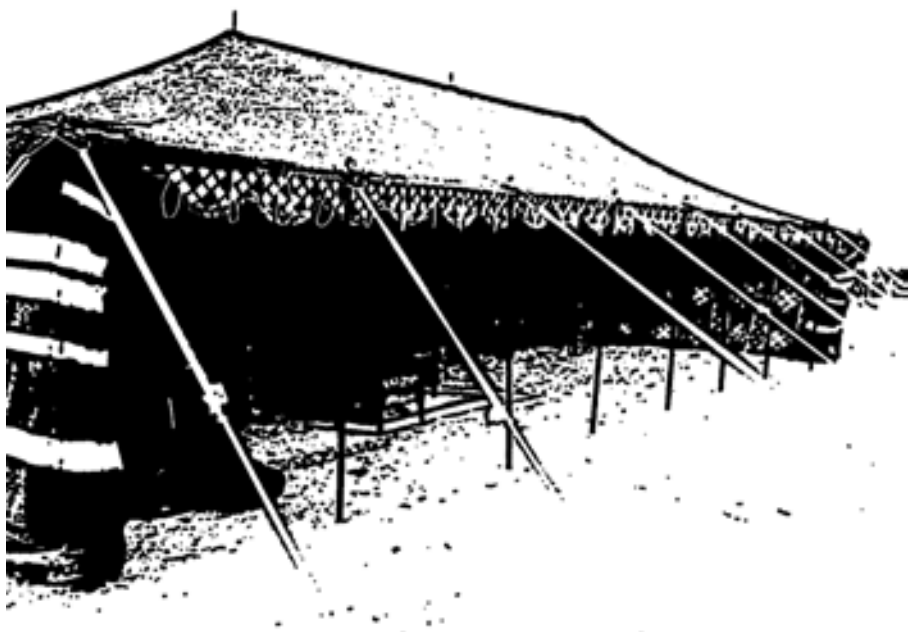

وهنا نتعرض لقصتين من قصص الغدر وعدم الوفاء من قبل بعض الأعراب قبل إسلامهم، التي أدمت قلب رسول الله ﷺ فهناك أحداث مؤلمة كانت مبعث حزن وصبر مرير لرسول الله ﷺ ولمن معه من المؤمنين في المدينة، فبعد معركة أحد وما رافقتها وتبعتها من آثار وخيمة على الساحة المسلمة، لم تتوقف وفود الصحابة عن الخروج من المدينة؛ لنشر معالم الإسلام بين الأعراب مهما غلت التضحيات، حتى كان غدر الأعراب لها بالمرصاد في السنة الرابعة للهجرة.

وفد الرجيع: في شهر صفر من السنة الرابعة، قدم على رسول الله ﷺ بعد معركة أحد رهط من عضل والقارة، فقالوا له: يا رسول الله! إنّ فينا إسلاماً وخيراً؛ فابعث معنا نفراً من أصحابك يفقهوننا في الدين، ويقرؤننا القرآن، ويعلموننا شرائع الإسلام. فبعث رسول الله ﷺ معهم ستة من أصحابه . . وأمرعليهم مرثد بن أبي مرثد، فخرجوا مع القوم، حتى إذا كانوا على الرجيع (ماء لهذيل بناحية من الحجاز من صدور الهداة) غدروا بهم.. حتى قتلوهم جميعاً...

وفد بئرمعونة: وفي نفس الوقت الذي خرج فيه وفد الرجيع، أرسل النبي ﷺ وفداً آخر إلى بئر معونة، ولم يكد يعلم ﷺ فيما بعد بفاجعة أصحابه الذين غدر بهم بالرجيع، حتى كانت الفاجعة أكبر في بئر معونة. فبعد أربعة أشهر من معركة أحد أي في شهر صفر من السنة الرابعة للهجرة، قدم أبو براء عامر بن مالك بن جعفر ملاعب الأسنة، وكان سيد بني عامر بن صعصعة، على رسول الله ﷺ وأهدى له هدية، فأبى رسول الله ﷺ أن يقبلها. وقال: يا أبا براء، لا أقبل هدية مشرك، فأسلم إن أردت أن أقبل هديتك، ثم عرض عليه الإسلام، وأخبره بما له فيه، وما وعد الله المؤمنين من الثواب، وقرأ عليه القرآن، فلم يسلم ولم يبعد من الإسلام، وقال: يا محمد، إنّ أمرك

هذا الذي تدعو إليه حسن جميل، فلو بعثت رجالاً من أصحابك إلى أهل نجد فدعوهم إلى أمرك، رجوت أن يستجيبوا لك. فقال رسول الله ﷺ: «إني أخشى عليهم أهل نجد! فقال أبو براء: أنا لهم جار، فابعثهم فليدعوا الناس إلى أمرك.

فبعث رسول الله ﷺ المنذر بن عمرو أخا بني ساعدة المعنق ليموت في أربعين رجلاً من أصحابه من خيار المسلمين...

وفي رواية بعث رسول الله ﷺ المنذر بن عمرو في سبعين راكباً من خيار الصحابة، ممن عرفوا بالقُراء، فساروا حتى نزلوا بئر معونة، وهي أرض بين أرض بني عامر، وحرة بني سليم؛ فلما نزلوها بعثوا حرام بن ملحان بكتاب رسول الله ﷺ إلى عامر بن الطفيل؛ فلما أتاه لم ينظر في كتابه، حتى عدا على الرجل فقتله، ثم استصرخ عليهم بني عامر، فأبوا أن يجيبوه إلى ما دعاهم إليه، وقالوا لن نخفر أبا براء، قد عقد لهم عقداً وجواراً ـ وبالتالي لم يف أبوبراء بما عاهد عليه رسول الله ﷺ حين قال له: أنا لهم جار ـ فاستصرخ عامر عليهم قبائل من بني سليم: عصية ورعلاً وذكوان، فأجابوه إلى ذلك، فخرجوا حتى غشوا القوم، فأحاطوا بهم في رحالهم، فلما رأوهم أخذوا السيوف، ثم قاتلوهم حتى قتلوا عن آخرهم، إلاّ كعب بن زيد أخا بني دينار بن النجار، فإنهم تركوه وبه رمق، فارتث (أي رفع وبه جراح) من بين القتلى، فعاش حتى قتل يوم الخندق .. ولما وصل الخبر إلى رسول الله ﷺ تألم هو وأصحابه كثيراً للفاجعتين.

وروي أنه ﷺ قال: «**هذا عمل أبي براء، قد كنت كارهاً متخوفاً...**». وفي خبر ـ لم يتيسر لي مصدره ـ أنه ﷺ أخذ يقنت في صلاة الفجر ثلاثين يوماً، وهو يدعو على من قتل أصحابه من رجال العشائر.[٤]

طوائفهم:

هذا وأنّ الأعراب طوائف أربع بالنسبة لموقفهم من الإسلام، كما

جاء بهم سياق آيات قرآنية: أنّ في الأعراب كفاراً، وأنّ فيهم منافقين، وأنّ فيهم مسلمين، وأنّ فيهم مؤمنين. هذا التقسيم يجري في غيرهم أيضاً، إلاّ أنّ الكفر فيهم أشد، وأنّ نفاقهم أشد كما وصفه القرآن الكريم، وبالتالي فهم أجدر؛ أي أحق وأولى وأحرى أن لا يعلموا حدود ما أنزل الله من أحكام على رسولهﷺ وذلك لجفائهم وقسوتهم وابتعادهم عن معالم الخير والمعرفة والحضارة. وهو ما سنراه فيما سميته القسم الأول منهم، وقد اشتركوا في صفتي الكفر والنفاق، لأنتقل للحديث عن القسم الثاني وهم المنافقون، فالمسلمون في القسم الثالث ثم المؤمنون منهم في القسم الرابع ولا بد لي قبل ذلك، وحتى لا نبخس حقاً لهم؛ من الإشارة إلى أنهم في قيم الأخلاق النبيلة، كالشجاعة، التي تحمد فيها الجرأة والاستخفاف بالمخاطر من الأمور؛ وفي الصراحة وإباء الضيم، وفي الكرم، فإنها تكون أقوى فيهم بالجبلة، ولذلك يكونون أقرب من غيرهم إلى الدفاع عن الخير إذا اعتقدوه، وعن المبدإ إذا آمنوا به.

* * *

القسم الأول: الكافرون والمنافقون:

الذين ذكرتهم الآية التالية، ونحن نبدأ بها؛ لأنها تبين لنا صفاتهم، التي هم فيها مشتركون:

﴿اَلْأَعْرابُ أَشَدُّ كُفْراً وَ نِفاقاً وَ أَجْدَرُ أَلاَّ يَعْلَمُوا حُدُودَ ما أَنْزَلَ اللّٰهُ عَلى رَسُولِهِ وَ اللّٰهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.[٥]

وربما عجل سبحانه وتعالى بذكر المنافقين من الأعراب قبل المؤمنين منهم، إلحاقاً لهم بمنافقي المدينة الذين كان يتحدث عنهم في المقطع السابق للآية ٩٧ من التوبة ؛ وكان بينهم نحو علاقة وربما موالاة ، وحتى تتواصل أجواء الحديث عن المنافقين بين هؤلاء و أولئك.

اللغة والنحو:

الأعراب لغةً: من العرب وهم

سكان البادية خاصةً؛ لهذا يطلق عليهم «البدو»؛ لأنهم يسكنون البادية؛ يتتبعون مساقط الغيث ومنابت الكلإ، والنسبة إلى الأعراب: أعرابي؛ لأنه لا واحد له، وليس الأعراب جمعاً للعرب.. وإنما العرب جمع العربي، والأعراب جمع الأعرابي وأيضاً أعاريب اما في الشعر الفصيح:

أعاريب ذو فخر بإفك

وألسنة لطاف في المقال

والعرب أمة من الناس، جمعها أعرب والنسبة إليها عربي بين العروبة، وهم أهل الأمصار.. والعرب العاربة هم الخلص منهم، وأخذ من لفظه وأكد به؛ كقولك ليل لائل. وربما قالوا: العرب العرباء. وتعرب أي تشبه بالعرب، وتعرب بعد هجرته أي صار أعرابياً. والعرب المستعربة هم الذين ليسوا بخلص وكذلك المتعربة والعربية هي هذه اللغة، ويعرب بن قحطان أول من تكلم اللغة العربية، وهو أبو اليمن كلهم. والعُرْب والعَرَب واحد: مثل العُجْم والعَجَم. والعُرَيْب تصغير العرب؛ قال الشاعرعبد المؤمن بن عبدالقدوس:

ومكن الضباب طعام العريب

ولا تشتهيه نفوس العجم

والمكن: بيض الضبة والجرادة ونحوها.

إنما صغرهم تعظيماً؛ كما قال الحباب بن المنذر بن الجموح الأنصاري يوم السقيفة: أنا جُذَيْلُها المحَكَّكُ، وعُذَيْقُها المرَجَّب. يريد أنه قد جربته الأمور، وله رأي وعلم يشتفى بهما كما تشفى الإبل الجربى باحتكاكها بالجذل.

وقد سميت العرب عرباً؛ لأن ولد إسماعيل نشئوا من عربة، وهي من تهامة، فنسبوا إليها، والعرب صنفان عدنانية وقحطانية، والفضل للعدنانية برسول الله ﷺ وأقامت قريش بعربة وهي مكة، وانتشر سائر العرب في جزيرتها أي الجزيرة العربية.

وفي المصباح: وأما الأعراب فأهل البدو من العرب، الواحد أعرابي

بالفتح أيضاً، وهو الذي يكون صاحب نجعة وارتياد للكلإ. وزاد الأزهري فقال: سواءكان من العرب أو من مواليهم؛ قال: فمن نزل البادية وجاور البادين وظعن بظعنهم فهم أعراب، ومن نزل بلاد الريف واستوطن المدن والقرى العربية وغيرها ممن ينتمي إلى العرب فهم عرب؛ وإن لم يكونوا فصحاء.

وقال غيره: عرب لسانه عرابة، وما سمعت أعرب من كلامه، وأعرب وهو من العرب العرباء. والعاربة وهم الصرحاء الخلص، وفلان من المستعربة وهم الدخلاء فيهم وفيه لوثة أعرابية؛ قال:

وإني على ما كان من عنجهيتي
ولوثة أعرابيتي لأريب

وقال الكميت:

لا ينقض الأمر إلا ريث يبرمه
ولا تعرب إلا حوله العرب

أي لا تعز وتتمنع عزة الأعراب في باديتها إلا عنده.

وأخيراً هنا لطيفة وهي أنّ الأعرابي إذا قيل له يا عربي فرح، والعربي إذا قيل له يا أعرابي غضب.[٦]

الأعراب إعراباً: اللام فيها للجنس أي جنسهم لا كل واحد منهم؛ ولأن القرآن سيستثني منهم، فليسوا جميعاً بهذه المثابة من شدة الكفر والنفاق، والنبو عن استماع الكلام الطيب.. والأعراب مبتدأ وأشد خبر وكفراً تمييز ونفاقاً عطف عليه. وهو من باب وصف الجنس بأحد أفراده أو بعضهم كما في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُوراً﴾ إذ ليس كلهم؛ هذا في إعرابها.

أشدُّ ... وأجدر: من الفعل شدّ، يشِدُّ شِدّةً: قويَ ومتُن، ومنه تشدّد في الأمر: بالغ فيه ولم يخفّف. أشدُّ: اسم تفضيل... أجدر: من الفعل: جدُر بكذا وله يجدُر جدارةً: صار خليقاً به، فهو جدير. وأجدر: اسم تفضيل. أي: أحقُّ وأَوْلى، يقال: هو جديرٌ وأجدر وحقيق وأحقّ وقمين وأَوْلى وخليق بكذا، كلُّه بمعنى واحد؛ فقوله: هو أجدر بكذا أي أقرب إليه وأحق به وأخلق فلان

جديــر بكذا أي خليق به، وأنت جدير أن تفعل كذا.

والأعراب: مبتدأ وأشد خبر، وكفراً تمييــز، ونفاقــاً عطف عليــه. وأجدر: عطف على أشــد، وأن وما في حيزها منصوبة بنــزع الخافض. ﴿وَأَجۡدَرُ أَلَّا يَعۡلَمُواْ﴾ أي: بأن لا يَعْلموا. أي: أحرى أن لايعلموا حدود مــا أنزل الله تعالى على رسوله ﷺ.

وذكر القرطبي أنَّ «أن» هنا في موضع نصب بحذف البــاء؛ تقول: أنت جدير بأن تفعل وأن تفعل؛ فإذا حذفت الباء لم يصلح إلا بـــ «أن»، وإن أتيت بالباء صلح بـ «أن» وغيره؛ تقول: أنت جدير أن تقــوم، وجدير بالقيــام. ولو قلت: أنت جدير القيام كان خطأ، وإنما صلح مع «أن» لأنّ أن يدل على الاســتقبال، فكأنها عوض من المحذوف.[٧]

إذن؛ فصفتهم الأكثر وضوحاً فيهم منبثقة من طبيعتهم البدوية، أنهم أشد كفراً إن كفروا، وقد كفروا، وأنهم أشد نفاقــاً إن نافقوا، وقد نافقوا، فهم بهذا متطرفــون فيما هم عليــه من كفرهم ومن نفاقهم. ويترتب على هذا الخلق وهــذه الصفة أمر عظيــم وجلل وهو أنهم يحرمون ممــا أنزله الله تعالى على رسوله ﷺ من خير عميم وعطاء كريم وعلم نافــع، يتمثل فيمــا وصلته من أحكام شــرعية وقيم ومفاهيم وآداب سماوية؛ نتيجة ما يمليه عليهم سلوكهم ذاك المتصف بالجفوة والقسوة والفظاظة والغلظة، والكبرياء والعنجهية، وكلها ســبب في حرمانهم العلــم والمعرفة، والتعلــم والوقــوف على مــا تريده السماء منهم ولأجلهم .. بأن تنتشلهم من واقعهم المرير هذا، ومما يحملونه من سيئ الخلق ورديء الصفات، إلى سقف إيماني رائع، وإنســانية مهذبة بتعاليم سماوية، عبر واقع أرحب يمنحهم الحياة العزيزة في الدنيا والطيبة في الآخرة.

أقوال بعض المفسرين:

قد ذكر القرطبي مسألتين وأحكاماً ترتبــت بســبب ما هــم عليــه، فأما

المسألتان فهما:

الأُولى: لما ذكر جلّ وعزّ أحوال المنافقين بالمدينة، ذكر من كان خارجاً منها ونائياً عنها من الأعراب؛ فقال: كفرهم أشد. قال قتادة: لأنهم أبعد عن معرفة السنن. وقيل: لأنهم أقسى قلباً وأجفى قولاً وأغلظ طبعاً وأبعد عن سماع التنزيل؛ ولذلك قال الله تعالى في حقهم: ﴿وَأَجْدَرُ﴾ أي أخلق، ﴿أَلاَّ يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللّهُ﴾ أي فرائض الشرع. وقيل: حجج الله في الربوبية وبعثة الرسل لقلة نظرهم.

الثانية: ولما كان ذلك، ودل على نقصهم وحطهم عن المرتبة الكاملة عن سواهم، ترتبت على ذلك أحكام ثلاثة:

لا حق لهم في الفيء والغنيمة؛ كما قال النبيّ ﷺ في صحيح مسلم من حديث بريدة، وفيه: «**ثم ادعهم إلى التحوّل من دارهم إلى دار المهاجرين وأخبرهم أنهم إن فعلوا ذلك، فلهم ما للمهاجرين وعليهم ما**

علـى المهاجرين، فإن أبوا أن يتحوّلوا عنها، فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين، يجري عليهم حكم الله الذي يجري علـى المؤمنين، ولا يكون لهم في الغنيمة والفيء شـيء إلا أن يجاهدوا مع المسلمين».

وله كلام في موضوع الشهادة، وهل تقبل أو ترفض شـهادة البدوي على الحضري؟

إسـقاط شـهادة أهل البادية عن الحاضـرة؛ لما في ذلك من تحقق التهمة. وأجازها أبوحنيفة قال: لأنها لا تراعي كل تُهمَة، والمسلمون كلهم عنده على العدالـة. وأجازها الشـافعيّ إذا كان عدلاً مرضياً.. وبعـد أن يذكر أوصافاً ثلاثة وصفهـم الله تعـالى بها وهي: الكفر والنفاق. يتخذ مـا ينفِق مغرماً ويتربـص بكم الدوائـر. الإيمان بالله وباليوم الآخـر ويتخذ ما ينفق قربات عند الله وصلـوات الرسـول. يقول: فمـن كانت هذه صفته فبعيد ألا تقبل شهادته فيلحق بالثاني والأوّل، وذلك باطـل. وأيضـاً لـه كلام في موضوع إمامتهم بأهـل الحاضرة بين من منعها ومن كرهها ومن جوزها.[8]

الطباطبائي في ميزانه: ... يبين تعالى حال سـكان البادية، وأنهم أشد كفراً ونفاقـاً؛ لبعدهم عن المدينة والحضارة، وحرمانهم من بركات الإنسـانية من العالم والأدب أقسى وأجفى، فهم أجدر وأحرى أن لا يعلموا حدود ما أنزل الله من المعارف الأصلية والأحكام الشرعية من فرائض وسنن وحلال وحرام.

الطبرسـي في مجمع البيان: لما تقدم ذكر المنافقين بين سبحانه أنّ الأعراب منهم أشـد في ذلك وأكثر جهلاً فقال: ﴿اَلْأَعْـرابُ أَشَـدُّ كُفْـراً وَ نِفاقـاً﴾ يريـد الأعـراب الذين كانوا حـول المدينة، وإنما كان كفرهم أشـد؛ لأنهم أقسـى وأجفـى من أهـل المدن، وهـم أيضاً أبعد من سماع التنزيل وإنذار الرسـل عن الزجاج، ومعناه أنّ سكان البوادي إذا كانوا كفاراً أو منافقين فهم أشـد كفـراً من أهل الحضـر؛ لبعدهم عن

مواضع العلم واستماع الحجج ومشاهدة المعجزات وبركات الوحي: ﴿وَأَجْدَرُ أَلاَّ يَعْلَمُوا حُدُودَ ما أَنْزَلَ اللّٰهُ عَلى رَسُولِهِ﴾ أي وهم أحرى وأولى بأن لا يعلموا حدود الله في الفرائض والسنن والحلال والحرام. ﴿وَاللّٰهُ عَلِيمٌ﴾ بأحوالهم. ﴿حَكِيمٌ﴾ فيما يحكم به عليهم.

أما الفخر الرازي في تفسيره الكبير، فيعزو ما هم عليه إلى بيئتهم وأجوائها وأثرها عليهم، وإلى فقدانهم المعلم والنظام، وبعدهم عن مراكز المعرفة، وهذه الوجوه التي ذكرها بالنص:

الأول: أن أهل البدو يشبهون الوحوش.

والثاني: استيلاء الهواء الحار اليابس عليهم، وذلك يوجب مزيد التيه والتكبر والنخوة والفخر والطيش عليهم.

والثالث: أنهم ما كانوا تحت سياسة سائس، ولا تأديب مؤدب، ولا ضبط ضابط، فنشأوا كما شاؤا، ومن كان كذلك خرج على أشد الجهات فساداً.

والرابع: أن من أصبح وأمسى مشاهداً لوعظ رسول الله ﷺ وبياناته الشافية، وتأديباته الكاملة، كيف يكون مساوياً لمن لم يؤاثر هذا الخير، ولم يسمع خبره؟

ويختم قوله بالخامسة فيقول: قابل الفواكه الجبلية البستانية؛ لتعرف الفرق بين أهل الحضر والبادية.

أما سيد قطب فيقول عن: ﴿وَاللّٰهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ عليم بأحوال عباده وصفاتهم وطباعهم. حكيم في توزيع المواهب والخصائص والاستعدادات، وتنويع الأجناس والشعوب والبيئات. انتهى.

النتيجة:

من كل هذا يظهر لنا أن هناك حكمين، يترتب عليهما حكم ثالث وهو النتيجة، يتمثل بالتالي:

أنهم أشد كفراً

أنهم أشد نفاقاً

ونتيجة هذين الحكمين:

١ـ ﴿وَأَجْدَرُ أَنْ لَايَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللّٰهُ عَلَى رَسُولِهِ﴾.

٢ـ ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً نُّوحِيۤ إِلَيْهِمْ مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ﴾.[٩]

فلما كانت الغلظة والجفاء في أهل البوادي، لم يبعث الله منهم رسولاً، وإنما كانت البعثة من أهل القرى. وهذا ما ذهب إليه ابن كثير في تفسيره وتبعه سيد قطب.

صفاتهم في الروايات:

روايات عديدة تكشف عن طابع الجفوة والفظاظة في نفوس الأعراب. حتى بعد الإسلام. فلا جرم يكون الشأن فيهم أن يكونوا أشد كفراً ونفاقاً وأجدر ألا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله، لطول ما طبعتهم البداوة بالجفوة والغلظة عندما يقهرون غيرهم؛ أو بالنفاق والالتواء عندما يقهرهم غيرهم؛ وبالاعتداء وعدم الوقوف عند الحدود بسبب مقتضيات حياتهم في البادية. وقد ذكرت بعض كتب التفسير روايات عديدة عما عرفوا به من صفاتهم هذه، التي أبعدتهم عن منابع الدين، ومكارم الأخلاق التي جاء بها رسول الله ﷺ، منها:

* قال الأعمش عن إبراهيم قال: جلس أعرابي إلى زيد بن صوحان، وهو يحدث أصحابه، وكانت يده قد أصيبت يوم «نهاوند»، فقال الأعرابي: والله إن حديثك ليعجبني، وإن يدك لتريبني! فقال زيد: وما يريبك من يدي؟ إنها الشمال! فقال الأعرابي: والله ما أدري اليمين يقطعون أم الشمال! فقال زيد بن صوحان: صدق الله ورسوله: ﴿ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْراً وَنِفَاقاً وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا﴾.

* وعن ابن عباس، عن رسول الله ﷺ قال: «**من سكن البادية جفا، ومن اتبع الصيد غفل، ومن أتى السلطان افتتن**».

* ولما أهدى ذلك الأعرابي تلك الهدية لرسول الله ﷺ فرد عليه أضعافها

حتى رضي، قال: «**لقد هممت ألا أقبل هدية إلا من قرشي أو ثقفي أو أنصاري أو دوسي**» لأن هؤلاء كانوا يسكنون المدن: مكة والطائف والمدينة واليمن، فهم ألطف أخلاقاً من الأعراب لما في طباع الأعراب من الجفاء.

* وعن عائشة، قالت: قدم ناس من الأعراب على رسول الله ﷺ فقالوا: أتقبلون صبيانكم؟ قال: نعم! قالوا: لكنا والله ما نقبل! فقال رسول الله ﷺ: «**وما أملك إن كان الله نزع منكم الرحمة**»؟

ومن نصيحة بعضهم للآخر إذا ما أراد السكن مع أعراب البادية: «**تَعَهَّد المدينةَ كيلا ترتَدَّ أعرابياً**».

القسم الثاني: المنافقون

﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ مَرَدُواْ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لاَ تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾.[١٠]

النفاق لغةً ونحواً: من يخفي الكفر ويظهر الإيمان. من يضمر العداوة ويظهر الصداقة. من يظهر خلاف ما يبطن.

مردوا: مَهَروا وتمرَّنوا عليه ولجوا فيه ومارسوه حتى اعتادوه وأبوا غيره، وتجردوا له. ويقال: تمرد فلان إذا عتا وتجبر ومنه: ﴿شَيْطَاناً مَرِيداً﴾، ﴿وَحِفْظاً مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ﴾.

وتمرد في معصيته أي ثبت عليها، واعتادها، ولم يتب عنها؛ فالمعنى أنهم أقاموا على النفاق وثبتوا عليه ولم ينثنوا عنه.

﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ﴾ جملة مستأنفة مسوقة لبيان حال منافقي أهل المدينة، ومن حولها من الأعراب، بعد بيان حال أهل البادية، و«ممن» خبر مقدم، و«حولكم» الظرف صلة الموصول، و«من الأعراب» لبيان الجنس حال، و«منافقون» مبتدأ مؤخر.

﴿وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ مَرَدُواْ عَلَى ٱلنِّفَاقِ﴾ «مردوا» صفة لمبتدإ محذوف تقديره: ومن أهل المدينة قوم مردوا

وقيل: صفة «منافقون»، وقد فصل بينهما، «ومن أهل المدينة» خبر مبتدأ محذوف تقديره: من أهل المدينة قوم كذلك «لا تعلمهم» صفة أخرى مثل مردوا، وتعلمهم بمعنى تعرفهم، فهي تتعدى إلى مفعول واحد.

﴿لاَ تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ﴾ الجملة في محل رفع صفة لـ «منافقون» أو مستأنفة و«نحن» مبتدأ، وجملة «نعلمهم» خبر ومفعول نعلمهم الثاني محذوف تقديره منافقين، وكذلك مفعول تعلمهم الثاني، «سنعذبهم» سين الاستقبال وفعل مضارع وفاعل مستتر ومفعول به و«مرتين» ظرف. ﴿ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ الجملة معطوفة، و«يردون» فعل ونائب فاعل و«عظيم» صفة.[11]

أيضاً في هذه المرة صفة النفاق ما زال الكلام عنها، ولكن صفة راحت تلازم كلاً من الأعراب ومنافقي المدينة، وهم قد اشتركوا فيها، وهما فيها صنف واحد بصفة واحدة، وصنف خاص يختلف عن المنافقين غيرهم بل وتميزوا فيها عليهم ألا وهو: ﴿مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ﴾ هذه الصفة لم تكن واردةً عند إخوانهم في دائرة النفاق، فهم يتصفون بأنهم أصحاب خبرة، وأنهم متمرسون في مهمتهم، ومتمسكون بها، وثابتون عليها، وأنهم حاذقون في نفاقهم إلى درجة تخفى حتى على رسول الله ﷺ مع عظيم فراسته وخبرته وقدرته، وبالتالي يكون تعامله معها كطائفة من صحابته لا ريب ينتابه فيهم ولا شك، وهم بهذا يشكلون خطراً جسيماً وبالغاً على الساحة المسلمة، فتدخلت السماء. وقد يكون سبب التدخل هذا أنّ الأعراب حول المدينة قد خلصوا للنبي ﷺ وأطاعوه وهم جهينة، وأسلم، وأشجع، وغفار، ولحيان، وعصية، .. وحتى لا ينظر إليهم جميعاً على أنهم مخلصون، ويتعامل معهم على هذا الأساس، فأعلم الله نبيه ﷺ أنّ في هؤلاء الأعراب أناساً منافقين؛ حتى يكون على حذر في تعامله معهم. وكذا الحال

بالنسبة لمن أسلم من أهل المدينة وأطاع رسول الله ﷺ فأعلمه الله أنّ فيهم وفي الأعراب بقيةً من المنافقين تحذيراً له؛ لأنّ النفاق مرض متأصل في بعض النفوس، ومخفي عند نفوس أخرى، قد يحتاج إلى جهد وزمن أطول حتى يزول بالكامل أو يعرف فينبذ؛ علماً بأنّ هذا النوع من المنافقين بين من أسلم من الأعراب ومن أهل المدينة ﴿مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ﴾ فهم أكثر أذيةً وأثراً على الساحة المسلمة؛ لهذا جاءت الآية، لتبينه لرسول الله ﷺ وتحذره منهم ومن هكذا نوع من النفاق.

سيد قطب: «الله سبحانه يقرر أنّ هذه الفئة من الناس موجودة في أهل المدينة وفي الأعراب المحيطين بالمدينة؛ ويطمئن رسولَ الله ﷺ والمؤمنين معه، من كيد هذه الفئة الخفية الماكرة الماهرة».

ويقول ابن كثير: وقوله: ﴿لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ﴾ لا ينافي قوله تعالى: ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾.[12] لأن هذا من باب التوسم فيهم بصفات يعرفون بها، لا أنه يعرف جميع من عنده من أهل النفاق والريب على التعيين، وقد كان يعلم أنّ في بعض من يخالطه من أهل المدينة نفاقاً، وإن كان يراه صباحاً ومساءً.[13]

الأخبار:

عن جبير بن مطعم، قال: قلت: يا رسول الله إنهم يزعمون أنه ليس لنا أجر بمكة، فقال: «**لتأتينكم أجوركم ولو كنتم في جحر ثعلب**» وأصغى إلى رسول الله ﷺ، فقال: «**إن في أصحابي منافقين**» ومعناه: أنه قد يبوح بعض المنافقين والمرجفين من الكلام بما لاصحة له، ومن مثلهم صدر هذا الكلام الذي سمعه جبير بن مطعم، وتقدم في تفسير قوله: ﴿وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا﴾.[14] أنه ﷺ أعلم حذيفة بأعيان أربعة عشر أو خمسة عشر منافقاً، وهذا تخصيص لا يقتضي أنه اطلع على

أسمائهم وأعيانهم كلهم، والله أعلم.

عن أبي الدرداء: أن رجلاً يقال له حرملة أتى النبي ﷺ فقال: الإيمان ههنا، وأشار بيده إلى لسانه، والنفاق ههنا، وأشار بيده إلى قلبه، ولم يذكر الله إلا قليلاً، فقال رسول الله ﷺ: «**أللهم اجعل له لساناً ذاكراً، وقلباً شاكراً، وارزقه حبي وحب من يحبني، وصير أمره إلى خير**». فقال: يا رسول الله إنه كان لي أصحاب من المنافقين، وكنت رأساً فيهم، أفلا آتيك بهم؟ قال: «**من أتانا استغفرنا له، ومن أصرّ فالله أولى به، ولا تخرقن على أحد ستراً**».

عن ابن عباس في هذه الآية قال: قام رسول الله ﷺ خطيباً يوم الجمعة فقال: «**اخرج يا فلان فإنك منافق، واخرج يا فلان إنك منافق**». فأخرج من المسجد ناساً منهم فضحهم، فجاء عمر وهم يخرجون من المسجد، فاختبأ منهم حياءً؛ أنه لم يشهد الجمعة، وظن أنّ الناس قد انصرفوا، واختبؤوا هم من عمر، ظنوا أنه قد علم بأمرهم، فجاء عمر، فدخل المسجد، فإذا الناس لم يصلوا، فقال له رجل من المسلمين: أبشر يا

عمر قد فضح الله المنافقين اليوم، قال ابن عباس: فهذا العذاب الأول حين أخرجهم من المسجد، والعذاب الثاني عذاب القبر.

العذاب:

فمع اتفاقهم على أنّ: ﴿ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ هو عذاب النار وقيل عذاب القبر. اختلفت أقوالهم في: ﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ﴾ وهي كثيرة:

منها عذاب في الدنيا، بالأموال والأولاد، يستفاد هذا من قوله تعالى: ﴿فَلاَ تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلاَ أَوْلاَدُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾.[١٥] هذه المصائب لهم عذاب، وهي للمؤمنين أجر. وعذاب النار: ﴿ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾.

ومنها ما ذكره ابن عباس في ذيل روايته أعلاه. أي نعذّبهم في الدنيا بالفضيحة، فإنّ النبي ﷺ ذكر رجالاً منهم وأخرجهم من المسجد يوم الجمعة في خطبته وقال: «**اخرجوا فإنكم منافقون**».

وعذاب القبر، أو بالسبي والقتل في الدنيا، أو بالجوع والمرض، أو بغيظهم من أهل الإسلام، والأُخرى عذاب القبر. وقيل: إنّ الأُولى ضرب الملائكة وجوههم وأدبارهم عند قبض أرواحهم والأُخرى عذاب القبر. أو بإقامة الحدود عليهم، والأُخرى عذاب القبر.

فيما يستظهر ابن عاشور أنّ العدد مستعمل لمجرد قصد التكرير:

«والعذاب الموصوف بمرتين عذاب في الدنيا لقوله بعده: ﴿ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾. وقد تحيّر المفسرون في تعيين المراد من المرتين. وحملوه كلهم على حقيقة العدد، وذكروا وجوهاً لاينشرح لها الصدر. والظاهر عندي أنّ العدد مستعمل لمجرد قصد التكرير المفيد للتأكيد كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ﴾.[١٦] أي تأمل تأملاً متكرراً. ومنه قول العرب: لبيك وسعديك، فاسم التثنية نائب مناب إعادة اللفظ. والمعنى: سنعذبهم عذاباً شديداً متكرراً مضاعفاً، كقوله

تعالى: ﴿يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ﴾.[17] وهذا التكرر تختلف أعداده باختلاف أحوال المنافقين، واختلاف أزمان عذابهم. والعذاب العظيم: هو عذاب جهنم في الآخرة».

أو هو كما يقول سيد قطب: ينذر هؤلاء الماكرين المهرة في النفاق بأنه سبحانه لن يدعهم، فسيعذبهم عذاباً مضاعفاً في الدنيا والآخرة .. والعذاب مرتين في الدنيا، الأقرب في تأويله أنه عذاب القلق النازل بهم من توقع انكشاف أمرهم في المجتمع المسلم؛ وعذاب الموت والملائكة تسألهم أرواحهم وتضرب وجوههم وأدبارهم. أو هو عذاب الحسرات التي تصيبهم بانتصار المسلمين وغلبتهم؛ وعذاب الخوف من انكشاف نفاقهم وتعرضهم للجهاد الغليظ.. والله أعلم بما يريد..انتهى.[18]

فهي بالتالي عذابات ثلاثة تنتظرهم: اثنتان منها قبل عذاب عظيم.

هذه خلاصة للأخبار ولأهم أقوالهم.

إذن الآية تتحدث لنا عن طائفتين من المنافقين وهما:

منافقون من الأعراب: وهم قبائل جهينة ومزينة وأشجع وأسلم وغفار وعصية ولحيان والديل.

منافقون من أهل المدينة: وهم عبدالله بن أبي وجد بن قيس ومعتب بن قشير والجلاس بن سويد وأبو عامر الراهب وغيرهم. وأنهم أناس مردوا على النفاق، أقاموا ولم يتوبوا بل استمروا عليه، واعتادوه حتى كأنه تعذر عليهم تركه.

وأنه ﷺ بنص القرآن لا يعلمهم؛ وأنّ الله تعالى استأثر بعلمهم، وقد أعلمه الله سبحانه علماً إجمالياً بهم، وليس في الآية دليل على أنه أعلمه تفصيلاً بهم. وأنّ عدم علم رسول الله بهم لا يجعلهم بمنأى من عذاب الله لهم.

صفتان أُخريان:

﴿وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَماً وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَائِرَ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ

ٱلسَّوْءِ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.[١٩]

وإضافةً إلى كل ما سبق، نقف عند صفتين أخريين من صفات منافقي الأعراب، ـ قيل: هم أعراب أسد وغطفان وتميم ـ راحت تتحدث عنهما الآية:

الصفة الأولى: يتخذون ما ينفقونه مغرماً أي خسارة يؤدونها مكرهين لامساعدة للمجاهدين والمحتاجين، ولاطلباً للأجر والثواب.

الصفة الثانية: التربص بالمؤمنين، فكل همهم وما يتمنونه ألا يعود المسلمون من غزوة غانمين ظافرين بأن يغلبوا عدوهم ويقهروه، وغدو ينتظرون أن تحل بهم النوائب والكوارث؛ ليتخلصوا منهم ومما يدفعونه لهم.

المغرم لغةً: من الفعل غرم في التجارة: خسر. . الغُرمُ: وهو نزول نائبة بالمال من غير خيانة، أو ما ينوب الإنسان في ماله بغير جناية منه أو خيانة. وأصله لزوم الأمر، ومنه قوله: ﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَاماً﴾.[٢٠] أي لازماً، دائماً ملازماً لا يمكن التخلص منه، والغريم يقال لكل واحد من المتداينين للزوم أحدهما الآخر، وغرمته كذا أي لزمته إياه في ماله.

الرازي: والمغرم مصدر كالغرامة، والمعنى: أنّ من الأعراب من يعتقد أنّ الذي ينفقه في سبيل الله غرامة وخسران، وإنما يعتقد ذلك؛ لأنه لاينفق إلا تقيةً من المسلمين ورياءً، لا لوجه الله وابتغاء ثوابه.

الطبري: ومن الأعراب من يَعُدُّ نفقته التي ينفقها في جهاد مشرك أو في معونة مسلم أو في بعض ما ندب الله إليه عباده مَغْرَماً، يعني غُرْماً لزمه لايرجو له ثواباً ولا يدفع به عن نفسه عقاباً.

أما سيد قطب فيقول: فهو مضطر لأن ينفق من ماله في الزكاة، وفي غزوات المسلمين؛ تظاهراً بالإسلام، ليستمتع بمزايا الحياة في المجتمع المسلم؛ ومداراة للمسلمين وهم أصحاب السلطان اليوم في الجزيرة! وهو يعد ما ينفقه غرامةً وخسارةً يؤديها كارهاً،

لامساعدة للغزاة المجاهدين، ولا حباً في انتصار الإسلام والمسلمين.[٢١]

والتربُّص: الانتظار؛ والدوائر: جمعُ دائرة، وهي ما يُحيط بالإنسان مِنْ مصيبة ونكبة، تصوُّراً من الدائرة المحيطةِ بالشيء من غير انفلاتٍ منها؛ وأصلها داوِرَة لأنها مِنْ دار يدور، أي: أحاط. ومعنى «تربُّص الدوائر»، أي: انتظار المصائب.

تَرَبَّصْ بها رَيْبَ المَنون لعلَّها
تُطَلَّقُ يوماً أو يموتُ حليلُها!

والدائرة يجوز أن تكون واحدة، ويجوز أن تكون صفةً غالبةً، وهي إنما تستعمل في آفة تحيط بالإنسان كالدائرة، بحيث لا يكون له منها مخلص.. وأكثر ما يستعمل الدائرة في زوال النعمة إلى الشدة، والعافية إلى البلاء، ويقولون: كانت الدائرة عليهم، وكانت الدائرة لهم؛ وجاءت دعاءً بأن تحل بهم المصائب وتحيط بهم أي تهلكهم وتدمرهم حين أعادها أو ردّها سبحانه بقوله: ﴿عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ﴾ والمعنى يدور عليهم البلاء والحزن، كأن للسوء دائرة تطبق عليهم فلا تفلتهم؛ وتدور عليهم فلا تدعهم. وذلك من باب تجسيم المعنوي وتخييله، الذي يعمق وقع المعنى ويحييه. . وهو دعاء عليهم بنحو ما يتربصونه أي: عليهم يدور من الدهر ما يسوؤهم، أو جعل الله دائرة السوء نازلة بهم، فلا يرون في محمدﷺ ودينه إلا ما يسوؤهم. . وقد وردت أيضاً في سورة الفتح: ﴿وَ يُعَذِّبَ الْمُنافِقِينَ وَ الْمُنافِقاتِ وَ الْمُشْرِكِينَ وَ الْمُشْرِكاتِ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دائِرَةُ السَّوْءِ﴾.[٢٢]

قال ابن عطية في تفسيره: كل ما كان بلفظ دعاء من جهة الله عزّوجل، فإنما هو بمعنى إيجاب الشيء؛ لأنّ الله تعالى لا يدعو على مخلوقاته وهي في قبضته، ومن هذا قوله:﴿ وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ﴾.[٢٣] ﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ﴾.[٢٤] وهي كلها أحكام تامة تضمنها خبره تعالى، أو إخبار عن وقوع ما يتربصونه عليهم.

الزمخشري في الكشاف: ﴿عَلَيْهِمْ

دَائِرَةُ ٱلسَّوْءِ﴾ دعاء معترض، دعي عليهم بنحو مادعوا به، كقوله عزّوجلّ: ﴿قَالَتْ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ﴾.[٢٥]

سيد قطب:﴿ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ والسمع والعلم يتناسبان هنا مع جو التربص بالسوء من أعداء الجماعة المسلمة، والنفاق الذي تحتويه جوانحهم، وتخفيه ظواهرهم.. والله سميع لما يقولون، عليم بما يظهرون وما يكتمون.[٢٦]

وفي ﴿ٱلسَّوْءِ﴾ قراءتان:

بفتح السين: ﴿عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ﴾. بمعنى: عليهم الدائرة التي تسوءهم سَوْءاً.

بضمّ السين: «عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السُّوء».

وقال الفراء: فتح السين هو الوجه؛ لأنه مصدر قولك: ساء يسوء سوءً أو مساءة؛ ومن ضم السين جعله اسماً كقولك: عليهم دائرة البلاء والعذاب، ولا يجوز ضم السين في قوله: ﴿مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ﴾ ولا في قوله:﴿ وَظَنَنْتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ﴾ وإلا لصار التقدير: ما كان أبوك امرأ عذاب، وظننتم ظن العذاب، ومعلوم أنه لا يجوز.

وقال الأخفش وأبوعبيد: من فتح السين، فهو كقولك: رجل سوء، وامرأة سوء، ثم يدخل الألف واللام فيقول: رجل السوء. وأنشد الأخفش:

وكُنْتَ كَذِئْبَ السَّوْءِ لَمَّا رأى دَماً
بصَاحِبِهِ يَوْماً أحالَ عَلى الدَّم

ومن ضم السين أراد بالسوء المضرة والشر والبلاء والمكروه، كأنه قيل: عليهم دائرة الهزيمة والمكروه، وبهم يحيق ذلك.[٢٧]

القسم الثالث: المسلمون

﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُواْ وَلَـٰكِن قُولُوٓاْ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَانُ فِى قُلُوبِكُمْ ...﴾.

﴿قُلْ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَاوَاتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾.

﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُواْ قُل لَّا تَمُنُّواْ عَلَىَّ إِسْلَـٰمَكُم بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ

هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾.[٢٨]

مما تحدث به هذا المقطع:

أعراب قالوا: ﴿آمَنَّا ...﴾ حين تطاولوا وادعوا ما ليسوا له أهلاً.

صفة المن والشعور بالتفضل: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُواْ...﴾ وهي صفة أخرى من صفاتهم بعد أن أسلموا.

وقد أبان القرآن الكريم لهم الحالة الصحيحة للإيمان وكيفيته ومعالمه وما يترتب عليه، ومن هو صاحب المنة في هذا الأمر.

في سبب النزول:

ظهر ذلك منهم حين وفدت الوفود على رسول الله ﷺ في سنة تسع المسماة سنةَ الوفود، وفد بني أسد بن خزيمة، وكانوا ينزلون بقرب المدينة، وكان قدومهم المدينة عقب قدوم وفد بني تميم الذي ذُكر في أول السورة، ووفد بنو أسد في عدد كثير وفيهم ضرار بن الأزور، وطليحة بن عبد الله (الذي ادعى النبوءة بعد وفاة النبي ﷺ أيام الردة) وقيل فيهم حضرمي بن عامر وكانت هذه السنة سنة جدب ببلادهم فأسلموا أو فأظهروا الشهادتين، ولم يكونوا مؤمنين في السر، وأفسدوا طرق المدينة بالعذرات، وأغلوا أسعارها، وكانوا يقولون للنبي ﷺ: أتتك العرب بأنفسها على ظهور رواحلها، وجئناك بالأثقال والعيال والذراري، ولم نقاتلك كما قاتلك محارب خَصَفَةَ وهوازن وغطفان. أو أتيناك نتذرع الليل البهيم في سنة شهباء، لم تبعث إلينا بعثاً .. يفدون على رسول الله ﷺ ويروحون بهذه المقالة، ويمنُّون عليه، ويريدون أن يصرف إليهم الصدقات، فأنزل الله فيهم هذه الآيات إلى آخر السورة؛ لوقوع القصتين قصة وفد بني تميم وقصة وفد بني أسد في أيام متقاربة، هذا ونقل عن مجاهد أنه قال: نزلت في بني أسد بن خزيمة، قبيلة تجاور المدينة، أظهروا الإسلام وقلوبهم دخلة، إنما يحبون المغانم وعرض الدنيا. وقيل: مزينة وجهينة وأسلم وأشجع

وغفـــار؛ ـ وأضاف القرطـــبي الديل ـ قالوا آمنا فاســـتحققنا الكرامة، فردّ الله تعالى عليهم بقوله: ﴿قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا﴾ ، أكذبهم الله في دعوى الإيمان، ولم يصرح بإكذابهم بلفظه، بـــل بما دل عليه من انتفاء إيمانهم.[٢٩]

خطاب لرسـول اللهﷺ حتى يبين لهم:

١. أنهـــم لم يكونوا فعـــلاً مؤمنين، ولم يتركهم هكذا ويكتفي بما قاله لهم، وأنه كشـــف أمرهم، بل راح يبين لهم حقيقـــة الإيمان وحدد لهـــم معالمه؛ لأنه حريص على هدايتهم.

٢. وخطأ ما هم عليه من المنة، وهي صفة ذميمة قاتلـــة، وأن يلتفتوا إلى أنّ الله صاحب المنة الكبرى، التي لا يملكها ولا يهبهـــا إلا هـــو لمن يســـتحق هذا الفضل العظيـــم، أن هداهم للإيمان، فيصب هـــذا في مصلحتهم في الدنيا بأن يخرجهم من الجهل والضلال، وفي الآخرة الأجر والثواب والخلاص من النار، وإلا فإنّ الله غني عن العالمين.

إنّ هؤلاء الأعـــراب قالوا ﴿آمَنَّا﴾ ولـــو قالـــوا أســـلمنا ـ والله أعلم ـ لـــكان موقفهم ســـليماً، لكنهم ادعو الإيمـــان، والإيمـــان يحتـــاج إلى أكثر مما يحتاجه الإســـلام، الـــذي يصح بمجرد إظهار الشـــهادتين كمـــا هو المعروف، وعليـــه العمل في ســـيرة المســـلمين، وفيه نصوص عديـــدة .. فجاءهم الرد القرآني: ﴿قَالَتِ ٱلأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُواْ وَلَـٰكِن قُولُوٓاْ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلإِيمَانُ فِى قُلُوبِكُمْ...﴾ عندئذ من حقكم أن تقولوا ﴿آمَنَّـــا﴾. هذه مرحلة راقية لا تُنال إلا بهذا الشـــرط كما لا ينالها غيركم إلا به، وبيّن لهم حقيقة الإيمان، وما يترتب على هذا الإيمان فهو درس تربوي رائع لهم.

يقول السيد العلامة الطباطبائي: وقد نفي في الآية الإيمـــان عنهم، وأوضحه بأنه لم يدخـــل في قلوبهم بعد، وأثبت لهم الإسلام، ويظهر بـــه الفرق بين الإيمان والإسلام بأن الإيمان معنى قائم

بالقلب من قبيل الاعتقاد، والإسلام أمر قائم باللسان والجوارح، فإنه الاستسلام والخضوع لساناً بالشهادة على التوحيد والنبوَّة وعملاً بالمتابعة العملية ظاهراً سواء قارن الاعتقاد بحقيَّة ما شهد عليه وعمل به أو لم يقارن، وبظاهر الشهادتين تحقن الدماء وعليه تجري المناكح والمواريث.

سيدقطب: ... فلما نزلت هاتان الآيتان (١٤ـ ١٥) أتوا رسول الله ﷺ يحلفون أنهم مؤمنون صادقون في دعواهم الإيمان، فأنزل الله سبحانه: ﴿قُلْ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ﴾ أي تخبرون الله بالدين الذي أنتم عليه؟ استفهام إنكار وتوبيخ؛ أي كيف تعلمون الله بدينكم؟ ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ...﴾ من طاعة ومعصية وإيمان وكفر.

والمنّ: ذكر النعمة والإحسان ليراعيَه المحسن إليه للذاكر، وهو يكون صريحاً مثل قول سبرة بن عمرو الفقعسي:

أتنسى دفاعي عنك إذ أنت مُسلم
وقد سال من ذل عليك قراقر

ويكون بالتعريض بأن يذكر المان من معاملته مع الممنون عليه ما هو نافعه مع قرينة تدلّ على أنه لم يرد مجرد الإخبار، مثل قول الراعي مخاطباً عبد الملك بن مروان:

فآزرت آل أبي خُبيب وافدا
يوماً أريد لبيعتي تبديلا

أبو خبيب: كنية عبدالله بن الزبير.

وكانت مقالة بني أسد مشتملة على النوعين من المنّ؛ لأنهم قالوا: ولم نقاتلك كما قاتلك محارب وغَطَفان وهوازن، وقالوا: وجئناك بالأثقال والعيال.[٣٠]

* المُخَلَّفُونَ

﴿سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرابِ شَغَلَتْنا أَمْوالُنا وَ أَهْلُونا فَاسْتَغْفِرْ لَنا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ ما لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً إِنْ أَرادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرادَ بِكُمْ نَفْعاً بَلْ كانَ اللَّهُ بِما تَعْمَلُونَ خَبِيراً﴾.

﴿بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَ

الْمُؤْمِنُونَ إِلى أَهْلِيهِمْ أَبَداً وَ زُيِّنَ ذلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَ ظَنَنْتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ وَ كُنْتُمْ قَوْماً بُوراً﴾.[٣١]

إنهم طائفة من الأعراب: جهينة ومزينة وأشجع وغفار وأسلم والدئل وغيرهم ممن حول المدينة، وقصتهم هي أنهم تخلفوا عن الركب الذي كان على رأسه رسول الله صلى الله عليه وآله متجهاً إلى مكة، ففي شهر ذي القعدة من السنة السادسة هجرية، استنفر رسول الله صلى الله عليه وآله العرب ومن حولهم من الأعراب؛ ليخرجوا معه، وهو يخشى من قريش الذي صنعوا، أن يعرضوا له بحرب أو يصدوه عن البيت، فأبطأ عليه كثير من الأعراب، وخرج رسول الله صلى الله عليه وآله بمن معه من المهاجرين والأنصار ومن لحق بهم من العرب، وساق معه الهدي، وأحرم بالعمرة؛ ليأمن منه الناس أنه خرج زائراً لهذا البيت ومعظماً له.[٣٢]

فهؤلاء الأعراب لم يلبوا نداء رسول الله صلى الله عليه وآله واستنفاره لهم، ثم راحوا يختلقون الأعذار، ويهيؤون مبررات يقدمونها لرسول الله صلى الله عليه وآله إذا ما سألهم عن سبب تخلفهم أنهم شغلتهم أموالهم وأهلوهم، فأخبر الله رسوله صلى الله عليه وآله بما بيتوه في قلوبهم من قبل أن يعتذروا؛ وهذه تعد من معجزات القرآن الكريم، أن يخبر بأمور قبل وقوعها، وترد عليهم السماء، فتفضح أعذارهم، وليس هذا فقط، بل راحت تكشف ظنونهم وذلك أنهم قالوا: إنّ محمداً وأصحابه أكلة رأس لا يرجعون، أي هم قليل يشبعهم رأس واحد، وما أخفته سريرتهم من سوء الظن بالله تعالى، وتوقع السوء برسوله ومن معه من المؤمنين الذين لبوا دعوته وأجابوه؛ أنّ الله لا ينصرهم؛ هذا ما أخبرت به السماء رسولها صلى الله عليه وآله من حقيقة تخلفهم ونواياهم، كما يبين تعالى ما سيناله المؤمنون من خير قريب كما في الآية ١٥ من سورة الفتح: ﴿سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلى مَغانِمَ لِتَأْخُذُوها ذَرُونا نَتَّبِعْكُمْ...﴾ وهي مغانم خيبر ... وهو ما نلاحظه

من أقوال المفسرين.

فهذا الطبرسي يقول: ثم أخبر سبحانه عمن تخلف عن نبيه صلى الله عليه وآله أي الذين تخلفوا عن صحبتك في وجهتك وعمرتك إلى مكة عام الحديبية معتمراً وكان في ذي القعدة من سنة ست من الهجرة، فقالوا نذهب معه إلى قوم قد جاؤه فقتلوا أصحابه، فتخلفوا عنه واعتلوا بالشغل. فقال سبحانه: إنهم يقولون لك إذا انصرفت إليهم فعاتبتهم على التخلف عنك: ﴿شَغَلَتْنا أَمْوالُنا وَ أَهْلُونا﴾ عن الخروج معك ﴿فَاسْتَغْفِرْ لَنا﴾ في قعودنا عنك. فكذبهم الله تعالى فقال: ﴿يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ ما لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ كذبهم في اعتذارهم بما أخبر عن ضمائرهم وأسرارهم، أي لا يبالون استغفر لهم النبي صلى الله عليه وآله أم لا. ﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللّهِ شَيْئاً إِنْ أَرادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرادَ بِكُمْ نَفْعاً﴾ أي فمن يمنعكم من عذاب الله إن أراد بكم سوءًا أونفعاً عن ابن عباس؛ وذلك أنهم ظنوا أن تخلفهم عن النبي صلى الله عليه وآله يدفع عنهم الضر أو يعجل لهم النفع بالسلامة في أنفسهم وأموالهم، فأخبرهم سبحانه أنه إن أراد بهم شيئاً من ذلك لم يقدر أحد على دفعه عنهم.

﴿بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَ الْمُؤْمِنُونَ إِلى أَهْلِيهِمْ أَبَداً وَ زُيِّنَ ذلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَ ظَنَنْتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ وَ كُنْتُمْ قَوْماً بُوراً﴾.

تضعهم الآية أمام ظنهم السيء، وتقديرهم الخائب، وهما مبنيان على سوء ظنهم بالله سبحانه أنّ الرسول صلى الله عليه وآله والمؤمنين معه لا يعودون إلى المدينة إلى أهليهم وأولادهم، لأنهم ذاهبون إلى حتفهم، وسيستأصلهم عدوهم، فهم لم يحسبوا حفظ الله تعالى للمؤمنين وحمايته لهم، وقد تمادوا في ظنهم هذا بعد أن زينه الشيطان في قلوبهم .. فصرتم هلكى فاسدين وأشراراً لاتصلحون لشيء من الخير. والبور: الرجل الفاسد الهالك الذي لا خير فيه؛ وقيل: بوراً: أشراراً.[٣٣]

المخلفون وقوم ﴿أُولِي بَأْسٍ﴾:

وهذا يعد طريقة تربوية قرآنية لهؤلاء المخلفين، وعلاجاً لنفوسهم وقلوبهم عبر توجيهات قرآنية وابتلاءآت عملية؛ فأولئك المخلفون من الأعراب أمر الله تعالى نبيه ﷺ أنهم سيبتلون بالدعوة إلى جهاد قوم أشداء، يقاتلونهم على الإسلام، فإذا نجحوا في هذا الابتلاء بأن يطيعوا ما كلفوا به كان لهم الأجر، وإلا فالعذاب إن عصوا بأن يتخلفوا كما تخلفوا من قبل حين استنفرهم رسول الله ﷺ في الخروج إلى الحديبية؛ فتثاقلوا عنه واعتلوا بالشغل، وقد ذكرتهم الآية ١١ من سورة الفتح.

﴿قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِن تُطِيعُواْ يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْراً حَسَناً وَإِن تَتَوَلَّوْاْ كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَاباً أَلِيماً﴾.٣٤

أولي بأس: أصحاب شدة وقوة في الحروب. واختلفت أقوالهم في المراد بهؤلاء القوم: هم هوازن وحنين عن سعيد بن جبير وعكرمة؛ هوازن وثقيف عن قتادة؛ بنو حنيفة مع مسيلمة

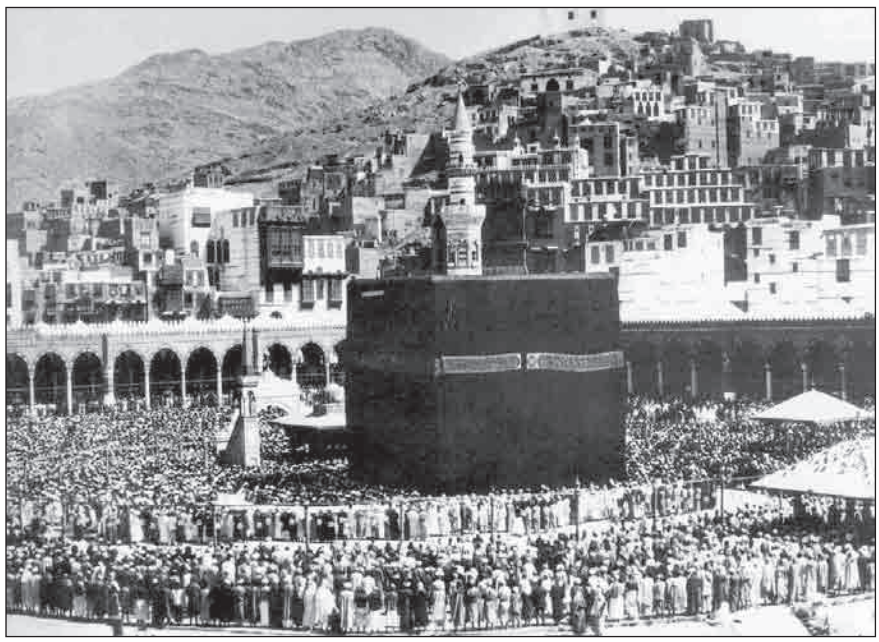

الكذاب عن الزهري؛ أهل فارس عن ابن عباس؛ الروم عن الحسن وكعب؛ أهل صفين أصحاب معاوية.

وقد دعاهم ﷺ بعد ذلك إلى غزوات كثيرة وقتال أقوام ذوي نجدة وشدة مثل أهل حنين والطائف ومؤتة إلى تبوك وغيرها، فلا معنى لحمل ذلك على ما بعد وفاته ﷺ.

﴿تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ﴾ أي أن أحد الأمرين لا أن يقع لا محالة، وتقديره أو هم يسلمون أي يقرون بالإسلام ويقبلونه، وقيل: ينقادون، ينقادون لكم؛ ﴿فَإِن تُطِيعُواْ﴾ أي فإن تجيبوا إلى قتالهم ﴿يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْراً حَسَناً﴾ أي جزاءً صالحاً. ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْاْ ﴾عن القتال وتقعدوا عنه ﴿كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِّن قَبْلُ﴾ عن الخروج إلى الحديبية ﴿يُعَذِّبْكُمْ عَذَاباً أَلِيماً﴾ في الآخرة.[٣٥]

ملخص ما قاله ابن عاشور في تفسيره التحرير والتنوير:

انتقال إلى طمأنة المخلفين بأنهم سينالون مغانم في غزوات آتية؛ ليعلموا أنّ حرمانهم من الخروج إلى خيبر مع جيش الإسلام ليس لانسلاخ الإسلام عنهم، ولكنه لِحكمة نوط المسبّبات بأسبابها على طريقة حكمة الشريعة فهو حرمان خاص بوقعة معينة كما تقدم آنفاً، وأنهم سيدعون بعد ذلك إلى قتال قوم كافرين كما تُدعى طوائف المسلمين، فذِكر هذا في هذا المقام إدخال للمسرة بعد الحزن؛ ليزيل عنهم انكسار خواطرهم من جراء الحرمان؛ وفي هذه البشارة فرصة لهم؛ ليستدركوا ما جنوه من التخلف عن الحديبية، وكل ذلك دال على أنهم لم ينسلخوا عن الإيمان.

ألا ترى أنّ الله لم يعامل المنافقين المبطنين للكفر بمثل هذه المعاملة في قوله: ﴿فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلى طائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَداً وَ لَنْ تُقاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخالِفِينَ﴾.[٣٦]

وكرر وصف من ﴿الْأَعْرَابِ﴾

هنا ليظهر أنّ هذه المقالة قصد بها الذين نزل فيهم قوله: ﴿سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرابِ شَغَلَتْنا أَمْوالُنا وَ أَهْلُونا﴾ فلا يتوهم السامعون أن المعنى بالمخلفين كل من يقع منه التخلف؛ ويضيف قائلاً: والقوم أولو البأس الشديد يتعين أنهم قوم من العرب؛ لأنّ قوله تعالى: ﴿تُقاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ﴾ يشعر بأنّ القتال لا يرفع عنهم إلا إذا أسلموا، وإنما يكون هذا حُكماً في قتال مشركي العرب إذ لا تقبل منهم الجزية. فيجوز أن يكون المراد هوازن وثقيف.أو أنهم أهل الردة، لأنهم من قبائل العرب المعروفة بالبأس وهم بنو حنيفة؛ أو هم فارس والروم.

المتخلفون والراغبون عنه ﷺ :

﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِّنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ اللّهِ وَلاَ يَرْغَبُواْ بِأَنْفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لاَ يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلاَ نَصَبٌ وَلاَ مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ يَطَأُونَ مَوْطِئاً يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلاَ يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلاً إِلاَّ كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ * وَلاَ يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلاَ كَبِيرَةً وَلاَ يَقْطَعُونَ وَادِياً إِلاَّ كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾.[٣٧]

وهذا تخلف آخر وقعت به طائفة من أهل المدينة، وطائفة من الأعراب، وقطعاً هؤلاء قد يكونون ممن لم يتمكن الإيمان من قلوبهم كثيراً، لكنهم من الذين يشكلون الساحة المسلمة يومذاك، وبالتالي وبحكم بيعتهم وكونهم الأقرب إلى مقر الرسالة ونبيها ﷺ ولأنهم باتوا هم القاعدة، التي عليها أن تتصدى للأعداء، ولتحمل تكاليف وأعباء الدين الحنيف؛ فليس لهم أن يتركوا رسول الله ﷺ كما ليس لهم أن يؤثروا أنفسهم على نفس رسول الله ﷺ والذين معه من إخوانهم المؤمنين.. وما حدث منهم يعد خلاف بيعتهم والمنافع المترتبة عليها، ويترك آثاراً

خطيرة على الساحة، وعلى مواجهة الأعداء والخصوم، والرسول ﷺ يجهز جنده لمعركة خطيرة ضد الروم، الذين يهددون ثغور الدولة الإسلامية بل وجودها الذي ما زال فتياً، ويحتاج إلى الكثير من الجهد لبنائه.. فجاءت هذه الآية معاتبةً هم، منددةً بعملهم هذا.. مبينةً لهم ما يحصلون عليه ويجنونه لو لبوا دعوة رسول الله ﷺ.

والقرطبي في تفسيره يعد الآية معاتبةً للمؤمنين من أهل يثرب وقبائل العرب المجاورة لها.. على التخلف عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك، وظاهر الآية عنده خبر ومعناه أمر؛ فيما يعدها الطبرسي في تفسيره توبيخاً وإزراءً على ما كانوا فعلوه، وعنده ظاهر قوله تعالى خبر، ومعناه نهي مثل قوله: ﴿..وَمَا كانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللّهِ..﴾.[٣٨] أي ما كان يجوز وما كان يحل لأهل مدينة رسول الله ﷺ ومن حولهم من سكان البوادي أن يتخلفوا في غزاة تبوك وغيرها بغير عذر..

وابن كثير في تفسير القرآن الكريم يقول: يعاتب تبارك وتعالى المتخلفين عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك؛ من أهل المدينة ومن حولها من أحياء العرب، ورغبتهم بأنفسهم عن مواساته فيما حصل له من المشقة، فإنهم نقصوا أنفسهم من الأجر؛ لأنهم ﴿لاَ يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ﴾ وهو العطش ﴿وَلاَ نَصَبٌ﴾ وهو التعب ﴿وَلاَ مَخْمَصَةٌ﴾ وهي المجاعة ﴿وَلاَ يَطَأُونَ مَوْطِئاً يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ﴾ أي: ينزلون منزلاً يرهب عدوهم ﴿وَلاَ يَنَالُونَ﴾ منه ظفراً وغلبة عليه ﴿إِلاَّ كُتِبَ لَهُمْ﴾ بهذه الأعمال التي ليست داخلة تحت قدرهم وإنما هي ناشئة عن أفعالهم أعمالاً صالحة وثواباً جزيلاً ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾.

يقول سيد قطب في تفسيره: إنه على الظمإ جزاء، وعلى النصب جزاء، وعلى الجوع جزاء، وعلى كل موطئ قدم يغيظ الكفار جزاء، وعلى كل نيل من العدو جزاء، يكتب به

للمجاهد عمل صالح، ويحسب به من المحسنين الذين لا يضيع لهم الله أجراً.. وأنه على النفقة الصغيرة والكبيرة أجر، وعلى الخطوات لقطع الوادي أجر، أجر كأحسن ما يعمل المجاهد في الحياة؛ ألا والله، إنّ الله ليجزل لنا العطاء، وإنها والله للسماحة في الأجر والسخاء.

المعذرون والقاعدون:

﴿وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.[٣٩]

بعد الحديث عن المخلفين في غزوة تبوك، جاءت هذه الآية لتتحدث عن صنفين من الأعراب؛ وهم المعذرون والقاعدون.

وقد وقع بين المفسرين اختلاف في ﴿ٱلْمُعَذِّرُونَ﴾ قراءةً ومعنًى:

المعْذِرون بسكون العين وتخفيف الذال، وهي من أعذر، ومنه قد أعذر من أنذر.

المعَذِّرون بفتح العين وتشديد الذال.

ويترتب على هذه القراءة قولان:

أحدهما: أنه المحق؛ لأن له عذراً، فالمعذرون هم المعتذرون فقلبت التاء ذالاً وأدغمت فيها وجعلت حركتها على العين.

ثانيهما: أنه غير المحق، وهو الذي يعتذر ولا عذر له. قال الجوهري: فهو المعَذِّر على جهة المُفَعِّل؛ لأنه المُمَرّض والمقصّر يعتذر بغير عذر.

ٱلْمُعَذِّرُونَ: إسم فاعل من عذر في الأمر إذا قصر فيه وتوانى ولم يجد، وحقيقته أن يوهم أن له عذراً فيما يفعل ولا عذر له، أو المعتذرون بإدغام التاء في الذال ونقل حركتها إلى العين.

في مجمع البيان: ﴿ٱلْمُعَذِّرُونَ﴾ أي المقصرون الذين يعتذرون وليس لهم عذر. وقيل هم المعتذرون الذين لهم عذر وهم نفر من بني غفار عن ابن عباس، ويدل عليه قوله: ﴿وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ فعطف

الكاذبين عليهم، فدل ذلك أنّ الأولين في اعتذارهم صادقون. وقيل: الذين يتصورون بصورة أهل العذر، وليسوا كذلك ﴿لِيُؤْذَنَ لَهُمْ﴾ في التخلف؛ عن الجبائي. ﴿وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ أي وقعدت طائفة من المنافقين من غير أن اعتذروا، وهم الذين كذبوا فيما كانوا يظهرونه من الإيمان ﴿سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

قال أبو عمرو بن العلافي كما في مجمع البيان للطبرسي: في هذه الآية كلا الفريقين كان مسيئاً؛ جاء قوم فعذروا. وجنح آخرون فقعدوا. يريد أن قوماً تكلفوا عذراً بالباطل. وتخلف آخرون من غير تكلف عذر وإظهار، جرأة على الله ورسوله صلى الله عليه وآله.

إلا أنّ السيد الطباطبائي في الميزان يستظهر أنّ المراد بالمعذرين هم أهل العذر كالذي لا يجد نفقةً ولا سلاحاً بدليل قوله: ﴿وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ﴾.

وكذا سيد قطب فيقول في تفسيره: فأما الأولون فهم ذوو الأعذارالحقيقية فلهم عذرهم إن استأذنوا في التخلف، وأما الآخرون فقعدوا بلا عذر. قعدوا كاذبين على الله والرسول. وهؤلاء ينتظر الذين كفروا منهم عذاب أليم. أما الذين يتوبون ولا يكفرون فمسكوت عنهم لعل لهم مصيراً غير هذا المصير.

القسم الرابع: المؤمنون

﴿وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَاتٍ عِندَ ٱللَّهِ وَصَلَوَاتِ ٱلرَّسُولِ أَلَآ إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.[٤٠]

إنهم طائفة من الأعراب، آمنوا وصدقوا؛ وتجسدت فيهم معالم الإيمان سلوكاً وعملاً، فراحوا يعززون إيمانهم بما ينفقون، فوفَّاهم الله حقهم من الثناء عليهم، كما بشرهم بحسن العاقبة حين يجسم رحمته كأنها دار يدخلونها فتحتويهم؛ في مقابل تجسيم ﴿دَائِرَةُ

السَّوْءِ﴾ على الفريق الآخر، الذي يتخذ ما ينفق مغرماً، ويتربص بالمؤمنين الدوائر. فصاروا أضداد الطائفتين السابقتين الواردتين في قوليه تعالى: ﴿اَلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْراً وَنِفَاقاً﴾ ، ﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَماً﴾.[41]

وفي قصة نزولها:

يقال: إنها نزلت في عبد الله ذي البجادين وقومه.[42]

فعن البختري بن المختار العبدي، قال: سمعت عبد الله بن مُغَفَّل قال: كنا عشرة ولد مُقَرِّن، فنزلت فينا: ﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللّٰهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ﴾ و بنو مُقَرّن من مزينة هم الذين نزل فيهم قوله تعالى:

﴿وَلَاعَلَى الَّذِينَ إِذا ما أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَاأَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَ أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَناً أَلاَّ يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ﴾.[43]

ومن هؤلاء عبدالله ذو البجادين المزَني هو ابن مغفل، حدث هذا في الاستعداد لغزوة تبوك، أتوا رسول الله ﷺ فقالوا: يا نبي الله، إنّ الله عزّوجل قد ندبنا إلى الخروج معك، فاحملنا على الخرق المرقوعة والنعال المخصوفة، نغزوا معك. فقال: «لا أجد ما أحملكم عليه، فتولوا وهم يبكون».

وهؤلاء عرفوا بأنهم البكاؤون السبعة: ثلاثة من بني النجار، وأربعة من مزينة، وقيل: كانوا جماعة من مزينة، وقيل: سبعة نفر من قبائل شتى، أوسبعة نفر من فقراء الأنصار، وقول: إنها نزلت في بني مقرن وكانوا سبعة أخوة، كلهم صحبوا النبي ﷺ، وليس في الصحابة سبعة غيرهم، وهم النعمان ومعقل وعقيل وسويد وسنان وسابع لم يسم، بنو مقرن المزنيون سبعة أخوة.

فهي بالتالي صورة رائعة وصلت لها طوائف من الأعراب تمثل رغبتهم الصادقة في الجهاد، وألمهم النابع من مشاعر مخلصة لحرمانهم من مواكبة ومرافقة رسول الله ﷺ في غزوته.[44]

ونلخص ما ذكره الزمخشري في

الكشاف: ... إنّ ما ينفقه سبب لحصول القربات عندالله ﴿وَصَلَوٰتِ ٱلرَّسُولِ﴾ لأنّ الرسول كان يدعو للمتصدقين بالخير والبركة ويستغفر لهم، وقال تعالى: ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾ فلما كان ما ينفق سبباً لذلك قيل: يتخذ ما ينفق قربات وصلوات ﴿أَلَآ إِنَّهَا﴾ شهادة من الله للمتصدق بصحة ما اعتقد من كون نفقته قربات وصلوات وتصديق لرجائه على طريق الاستئناف، مع حرفي التنبيه والتحقيق المؤذنين بثبات الأمر وتمكنه، وكذلك ﴿سَيُدْخِلُهُمُ﴾ وما في السين من تحقيق الوعد، وما أدلّ هذا الكلام على رضا الله تعالى عن المتصدقين، وأنّ الصدقة منه بمكان إذا خلصت النية من صاحبها.

وختاماً أذكر بعض ما ورد عنهم من أدعية وخطب في موسم الحج ومناسكه.

أدعيتهم وخطبهم:

بيان وفصاحة وبلاغة، يجدها القارئ فيما تركوه من تراثهم، فهم أبناء بادية سلمت مما يعكر لغتهم .. وقد دوّن لنا بعض المهتمين بهم أقوالاً موجزةً، وطُرفاً عابرةً، وحِكماً بالغةً، وأخباراً نادرةً، ودقائق لغويةً وأدبيةً، وقبل كل ذلك وبعده بل وأفضل منه، سجل تراثهم إيماناً بالله عجيباً واعتزازاً بدينه رائعاً، وصراحةً تدلّ على وثوق متين وصدق نادر! وكيف لا يكونون كذلك، وقد عرضتهم السماء ورسولهاﷺ إلى تربية رائعة، ورقابة دقيقة، وإعداد عظيم في مهمة ضخمة وشاقة ودؤوبة حتى وصلوا إلى درجة إيمانية رفيعة استحقوا بها قربات عندالله وصلوات الرسولﷺ! ومما دوّنوه نكتفي بمقتطفات من أدعيتهم وخطبهم في موسم الحج ومحطاته:

وقف أعرابي في موسم الحج، فقال: «أللهم إنّ لك حقوقاً فتصدق بها عليّ، وللناس عليّ تبعات فتحملها عني، وقد وجب لكل ضيف قرى، وأنا ضيفك الليلة، فاجعل قراى فيها الجنة».

في الطواف:

وقال الأصمعي: رأيت أعرابياً يطوف بالكعبة وهو يقول: «إلهي، عجّت إليك الأصوات بضروب من اللغات، يسألونك الحاجات، وحاجتي إليك إلهي أن تذكرني على طول البكاء إذا نسيني أهل الدنيا. أللهم هب لي حقكَ وأرضِ عني خلقك، أللهم لاتُعْيني في طلب ما لم تقدّره لي، وما قدّرته لي فيسِّرْهُ لي».

وأخذ أعرابي يدعو، وهو يطوف بالكعبة، فقال:

«أللهم قد أطعناك في أحب الأشياء إليك، شهادة أن لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك، ولم نعصك في أبغض الأشياء إليك: الشرك، فاغفر اللهم ما بين ذلك».

وعند الكعبة هناك دعاء لأعرابي:

«أللهم إنه لا شرفَ إلا بفعالٍ، ولا فعالَ إلاّ بمال؛ فأعطِني ما أستعين به على شرف الدنيا والآخرة».

دعاء أعرابي عند حلقتي الكعبة:

وقال أيضاً: «رأيت أعرابياً أخذ بحلقتي باب الكعبة وهو يقول: «سائلك عند بابك.. ذهبت أيامُه، وبقيتْ آثامه، وانقطعت شهوته، وبقيت تباعته، فارْضَ عنه.. وإن لم ترض عنه، فاعف عنه غيرَ راضٍ».

عند أستار الكعبة:

وأخذ أعرابي يدعو: «أللهم لا شرف إلا بفعال، ولا فعال إلا بمال، فأعطني ما أستعين به على شرف الدنيا والآخرة يا رب العالمين».

وقال أعرابي آخر في دعائه:

«أللهم إنّ أقواماً آمنوا بك بألسنتهم؛ ليحقنوا دماءهم، فأدركوا ما أملوا، وقد آمنا بك بقلوبنا؛ لتجيرنا من عذابك، فأدر بك منا ما أملناه يارب العالمين».

وعن الأصمعي: رأيت أعرابياً متعلقاً بأستار الكعبة رافعاً يديه إلى السماء وهو يقول: «رب أتراك مُعذبنا وتوحيدك في قلوبنا، وما أخالك تفعل ولئن فعلت لتجمعنا مع قوم طالما أبغضناهم لك». .

وسُمِع أعرابي وهو متعلق بأستار الكعبة يقول: «أللهم إنّ استغفاري مع إصراري للؤم، وإن تركي استغفارك مع علمي بسعة عفوك لعجز، فكم تتحبب إليّ بالنعم مع غناك عني، وكم أتبغض إليك بالمعاصي مع فقري إليك، يا من إذا وعد وفى، وإذا أوعد عفا، أدخل عظيم جرمي في عظيم عفوك، يا أرحم الراحمين».

وعن الأصمعي: سمعت أعرابياً يقول في دعائه:

«أللهم إنّ ذنوبي إليك لا تضرك، وإنّ رحمتك إياي لا تنقصك، فأغفر لي ما لا يضرك، وهب لي ما لا ينفعك».

في عرفات:

سُمع أعرابي بعرفات؛ عشية عرفة وهو يقول:

«أللهم إنّ هذه عشية من عشايا محبتك، وأحد أيام زلفتك، يأمل فيها من لجأ إليك من خلقك أن لا يشرك بك شيئاً، بكل لسان فيها يدعى، ولكلٍّ خير فيها يُرجى، أتتك العُصاة من البلد السحيق، ودعتك العناة من شعب المضيق؛ رجاءَ مالا خلف له من وعدك، ولا انقطاع له من جزيل عطائك، أبدتْ لك وجوهَها المصونة صابرةً على وهج السمائم وبرد الليالي، ترجو بذلك رضوانك يا غفار، يا مستزاداً من نعمه ومستعاذاً من نقمه، إرحم صوتَ حزينٍ دعاك بزفير وشهيق».

ثم بسط كلتا يديه إلى السماء، وقال: «أللهم إن كنتُ بسطتُ يدي إليك داعياً، فطالما كفيتني، ساهياً بنعمتك التي تظاهرت علي عند الغفلة، فلا أبأس بها عند التوبة، لا تقطع رجائي منك لما قدمت من اقتراف آثامك».

في عشية عرفة أيضاً:

وقال سفيان بن عيينة: سمعت أعرابياً يقول عشية عرفة:

«أللهم لا تحرمني خيرَ ما عندكَ لشرِّ ما عندي، وإن لم تتقبل تعبي ونصبي، فلا تحرمني أجر المُصاب على مصيبته».

في الطريق إلى منى:

وقال الأصمعي: خرجت أعرابيّة

إلى مِنى فقُطع بها الطريق، فقالت:

«يا رب، أعطيتَ وأخذت، وأنعمتَ وسلبت، وكلُّ ذلك منكَ عَدلٌ وفضل، والـذي عظم علـى الخلائـق أمرك، لابسـطت لساني بمسـألة أحد غيرك، ولابذلت رغبتي إلا إليك، يا قرّةَ أعْيُن السـائلين، أغنِني بجودٍ منـك، أتبحبح في فراديس نعمتـه، وأتقلب في رواقِ نضرتـه، أحملني من الرجلـة، وأغنني من العيلة، وأسـدل عليّ سترَك الذي لاتخرقه الرماح، ولا تزيله الرياح، إنك سميع الدعاء».

خطبة الأعرابى السائل في المسجد الحرام، وتوفرت على مفردات غريبة!

عن أبي زيد قال: بينا أنا في المسجد الحرام، إذ وقف علينا أعرابي، فقال: «يا مسـلمون، إنّ الحمد لله، والصلاة على نبيه، إني امرؤٌ مـن أهل هذا الملطاط الشرقى المواصي، أسياف تهامة عكفت على سـنون محش، فاجتبـت الذرى، وهشـمت العرى، وجمشـت النجم، وأعجـت البهـم، وهمت الشـحم، والتحبت اللحـم، وأحجنت العظم، وغادرت الـتراب موراً، والمـاء غوراً، والناس أوزاعاً، والنبط قعاعاً، والضهل جزاعاً، والمقام جعجاعاً، يصبحنا الهاوي، ويطرقنـا العاوي، فخرجـت لا أتلفع بوصيدة، ولا أتفوت هبيدة، فالبخصات وقعة، والركبات زلعة، والأطراف قفعة، والجسم مسلهم، والنظر مدرهم، أعشو فأغطـش، وأُضحي فأخفش، أسـهل ظالعاً، وأحزن راكعاً.. فهل من آمر بمير، أو داعٍ بخير؟ وقاكم الله سـطوة القادر، وملكة الكاهر، وسوء الموارد، وفضوح المصادر».

قال: فأعطيته ديناراً، وكتبت كلامه، واستفسرته ما لم أعرفه!

ومات ابـن لأعرابي وهو في الحج، فقـال: «أللهم إني وهبـت له ما قصر فيـه من برّي، فهب له ما قصّر فيه من طاعتك، فإنك أجود وأكرم».[٤٥]

الهوامش

١. سورة التوبة : ١٠١.

٢. سورة التوبة : ١٢٠.

٣. التاج الجامع للأصول في أحاديث الرسول، الشيخ منصور علي ناصف٣ : ٤١٧ ؛ فضائل الصحابة، لأحمد٢ : ٨٨١ ، ٨٨٦ وغيرهما.

٤. تاريخ الطبري، أحداث سنة أربع من الهجرة ؛ والسيرة النبوية، لابن هشام ؛ غزوة الرجيع وبئر معونة، باختصار لما ورد.

٥. سورة التوبة : ٩٧.

٦. أنظر المعجم الوسيط حرف العين؛ ومختار الصحاح للرازي؛ والجامع لأحكام القرآن، للقرطبي الآية:٩٧ التوبة، نقلاً عن الجوهري وما حكاه القشيري، تصرف قليل .. ومصادر اللغة الأخرى؛ إعراب القرآن الكريم وبيانه، لمحيي الدين الدرويش؛ وأيضاً تفسير الدر المصون،للسمين الحلبي، وكتاب سيبويه٦.

٧. تفسير الدرالمصون، السمين الحلبي؛ والمعجم الوسيط؛ وابن كثير في تفسيره؛ وإعراب القرآن، الدرويش؛ والجامع لأحكام القرآن، للقرطبي.

٨ . أنظر الجامع لأحكام القرآن، وبيانه لمن يريد المزيد في تفسيره لآية الدين ٢٨٢ من سورة البقرة، ﴿**ممن ترضون من الشهداء**﴾ المسألة الثانية والثلاثون، وللآية ١٣٥ من سورة النساء: ﴿ **يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ...**﴾ ذيل المسألة الثالثة: وممن ترد شهادته عند مالك البدوي على القروي عن أبي هريرة أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**لا تجوز شهادة بدوي على صاحب قرية...**».

٩. سورة يوسف : ١٠٩.

١٠. سورة التوبة : ١٠١.

١١. تفسير الدر المصون، السمين الحلبي؛ وإملاء ما من به الرحمن، لأبي البقاء العكبري؛ وإعراب القرآن الكريم، الدرويش.

١٢. سورة محمد : ٣٠.

١٣. أنظر في ظلال القرآن، لسيد قطب؛ تفسير القرآن الكريم، لابن كثير.

١٤. سورة التوبة : ٧٤.

١٥. سورة التوبة : ٥٥.

١٦. سورة الملك : ٤

١٧. سورة الأحزاب : ٣٠.

١٨. أنظر مجمع البيان، للطبرسي؛ وتفسير ابن كثير؛ والقرطبي، في الجامع؛ والتحرير والتنوير،لابن عاشور؛ وسيد قطب، في

ظلال القرآن.

١٩. سورة التوبة : ٩٨.

٢٠. سورة الفرقان : ٦٥.

٢١. المعجم الوسيط؛ تفسير الرازي؛ تفسير الطبري؛ في ظلال القرآن.

٢٢. سورة الفتح : ٦.

٢٣. الهمزة : ١.

٢٤. المطففين : ١.

٢٥. المائدة : ٦٤.

٢٦. الدر المصون، للسمين الحلبي؛ الكشاف، للزمخشري؛ في ظلال القرآن.

٢٧. أنظر مجمع البيان، للطبرسي؛ وتفسير الطبري؛ والرازي.

٢٨. سورة الحجرات : ١٤، ١٦ـ١٧.

٢٩. هذا ما أوردته كتب التفاسير أو بما يقرب منه.

٣٠. أنظر تفسير الميزان، للسيد العلامة الطباطبائي؛ في ظلال القرآن، لسيد قطب؛ التحريروالتنوير، لابن عاشور.

٣١. سورة الفتح : ١١ـ١٢.

٣٢. أنظر السيرة النبوية، لابن هشام «أمر الحديبية».

٣٣. أنظر مجمع البيان، للطبرسي؛ والتحرير والتنوير، لابن عاشور؛ والجامع، للقرطبي؛ بتصرف.

٣٤. سورة الفتح : ١٦.

٣٥. مجمع البيان، للطبرسي.

٣٦. سورة التوبة : ٨٣ .

٣٧. سورة التوبة : ١٢٠ـ ١٢١.

٣٨. سورة الأحزاب : ٥٣.

٣٩. سورة التوبة : ٩٠.

٤٠. سورة التوبة : ٩٩.

٤١. السيرة النبوية، لابن هشام ٤ :١٧١ ـ ١٧٢.

٤٢. سمي ذا البجادين؛ لأنه كان ينازع قومه إلى الإسلام، فيمنعونه ويضيقون عليه حتى تركوه في بجاد أي كساء غليظ جاف، فهرب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فلما قرب منه شق بجاده باثنين، فاتزر بواحد واشتمل بالآخر ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وآله وأسلم، فقيل له ذو البجادين. وقد توفي في تبوك، وقام رسول الله صلى الله عليه وآله بدفنه، فلما هيأه لشقه قال: اللهم إني أمسيت راضياً عنه، فارض عنه. فقال عبدالله بن مسعود: يا ليتني كنت صاحب الحفرة!!

٤٣. سورة التوبة : ٩٢.

٤٤. تفسير الطبري؛ وتفسير التحرير والتنوير، لابن عاشور؛ ومجمع البيان، للطبرسي؛ والجامع لأحكام القرآن، للقرطبي؛ وأسباب النزول، للواحدي، بتصرف.

٤٥. أنظر جمهرة خطب العرب، أحمد زكي صفوت؛ وغيره.